مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 10 / العـدد: 01 (2022)، ص 186- 205

القبيلة والدولة- جدلية العصبية والدعوة الدينية-

The tribe and the state - the dialectic of Assabya and religious advocacy

الأستاذ: بلعباس الهواري[1]

[1] جامعة يحي فارس المدية- كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية.

abbes1975@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2021/10/02 تاريخ القبول: 2021/11/26 تاريخ النشر:2022/01/23

ملخص:

هذا الموضوع مبتذل قُتل كتابة حسب تعبير الجابري .بل واعتبره البعض لا حدث ظانين أن القبيلة وعصبيتها اندثرت الى الابد في الازمنة المعاصرة مع تطور وزيادة تدخل الدولة في حياة الافراد والمجتمعات وهيمنة الحداثة بكل تعبيراتها والتي أقصت الانتماءات الأولية والايديولوجيات الدينية لصالح فكر علماني عقلاني كفر بالماضي واعتبره جزءا مظلما من تاريخه خاصة بعد الثورات السياسية الكبرى المعاصرة. لكن الوقائع والاحداث المشاهدة في مجتمعاتنا وغيرها تكذب هذا النفي وتؤكد الحضور القوي للقبلية وللعصبية وحضور القرابة كحقيقة اجتماعية ولو بغير الاشكال التقليدية وانها استطاعت ان تتعايش مع العصر جنبا لجنب. صحيح ان القبيلة كبنية اجتماعية وسياسية تقلصت لكنها كشعور جماعي نفسي يجمع افراده في السراء والضراء تظهر من حين لآخر في لاشعور اعضائها. هذا يعني ان الدولة لم تنف القبيلة وان عصبيتها لم تعد تطمح لغزو الدولة .اما الدعوة الدينية فقد ساهمت في كثير من الحالات التاريخية والمعاصرة في تأسيس الدولة وان كانت ساعدتها عوامل اخرى.

كلمات مفتاحية: القبيلة، العصبية، الدعوة الدينية، الدولة.

Abstract:

This subject was banal and was killed in writing, according to Al-Jabri's expression. Some even considered it not an event, thinking that the tribe and its fanaticism had disappeared forever in contemporary times with the development and increase of state intervention in the lives of individuals and societies and the dominance of modernity in all its expressions, which excluded primary affiliations and religious ideologies in favor of a rational, secular thought that disbelieved in the past and considered i t A dark part of its history, especially after the major contemporary political revolutions. But the facts and events witnessed in our societies and others belie this denial and confirm the strong presence of tribalism and fanaticism and the presence of kinship as a social and political reality, even without traditional forms, and that it has been able to coexist with the times side by side.

It is true that the tribe is a structure Social and political have shrunk, but as a collective psychological feeling that gathers its members through thick and thin, it appears from time to time in the unconsciousness of its members. This means that the state has not exiled the tribe and that its fanaticism no longer aspires to invade the state. As for the religious vocation, it has contributed in many historical and contemporary cases to the establishment of the state, even if it was helped by other factors.

Keywords: Tribe; Assabya; Religious Advocacy; State**.**

المؤلف المرسل: بلعباس الهواري

1. مقدمة:

كان الدين والعصبية ولا يزالان المتدخلين الرئيسيين في تأسيس الكيانات واستمرارها أو زوالها، خاصة في الدول التي قامت على أساسهما. ففي البيئة

القبيلة والدولة- جدلية العصبية والدعوة الدينية-

الصحراوية او البدوية شكلت القبيلة البنية الاجتماعية والسياسية التي قام عليها المجتمع المحلي مستندا على العصبية التي تربط افراد القبيلة بعضهم البعض في مواجهة التهديدات و الظروف المناخية والجغرافية القاسية التي يواجهونها .تتطور مطالب العصبية من المطالبة بالضروري من العيش لتحقيق البقاء في بيئة معادية الى المطالبة بالكمالي وهو الملك والسلطة التي بها تأتي الخيرات وتشبع الحاجات، هذا أمر طبيعي في التدرج في سلم الحاجات(انظر ماسلو) وصولا لإخراج القبيلة من هامش الحضارة والتاريخ الى الولوج للتاريخ كفاعل سياسي حضاري. نجاح الحركة هل يتم فقط بالعصبية القائمة على النسب والتضامن أم يحتاج لسند اخر معنوي يحصل به النجاح ونقصد به الدعوة الدينية كما وقع في الدولة المرابطية و الموحدية والعلوية بالمغرب العربي وكما وقع في العصر الحديث مع قيام دولة آل سعود و الكيان الصهيوني وإيران الخميني على سبيل المثال. تحالف السياسي مع الديني هل يفسر وحده نشوء واستمرار الدول والقبائل في بيئتنا؟

للإجابة على هذا التساؤل نفترض ان نجاح الدعوات الدينية والحركات السياسية عبر التاريخ العربي ارتبط بظروف خاصة بتلك المجتمعات(اقتصاد الكفاف والغزو، البيئة الصحراوية البدوية، كثرة القبائل، غياب مفهوم الدولة المركزية..)

القرابة وصفاء الانساب والجد المشترك الحقيقي أو الوهمي كلها عوامل لم تعد تلبي الغرض المطلوب أو استنفذها الزمان. لذلك تحتاج القبيلة إلى مرك ثاني روحي تحقق به اللحمة الاجتماعية في مواجهة التنافسات والصراعات.

الدولة الحديثة في منشئها الغربي تأسست بعيدا عن هذه الثنائية ونجحت دونها نجاحا باهرا في فرض نفسها وتوحيد أقاليمها وتحقيق شروط النهضة.

لفهم هذه الاشكالية كان لابد من الاستنجاد بالمنهج التاريخي أو منهج الاسترداد التاريخي لاستعراض بعض النماذج من التاريخ المحلي قامت على

الأساس العصبي الديني. وتشريح النظرية الخلدونية التي كان موضوعها الرئيس العصبية والدولة والصراع بين البداوة والحضارة حسب دارسي هذه النظرية(الجابري. الوردي. الحصري وغيرهم).

2. مفاهيم أساسية:

1.2 القبيلة:

لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور (بكيري، 2020، الصفحات 229 - 230) « الشعب اكبر من القبيلة، ثم القبيلة ،ثم العمارة ،ثم البطن ،ثم الفخذ. القبائل من قبائل الشجرة أي أغصانها. قبائل الطير أي أصنافها، وكل صنف منها قبيلة. القبيلة هي الجماعة من الناس يكونون من الثلاثة فصاعدا من قوم شتى كالزنج والروم والعرب»

أما في علم الاجتماع فهي« نسق في التنظيم الاجتماعي يتضمن عدة جماعات محلية كالقرى والبدنات(البدنة هي اتحاد عدة أسر تربط بينها رابطة الدم) والعشائر. تقطن عادة إقليما معينا ويكتنفها شعور قوي بالتضامن والوحدة يستند إلى مجموعة من العواطف الاولية»

يصفها فيليب خوري «بأنها نظام وهي الاصل في المجتمع البدوي، فكل خيمة تمثل أسرة ،والمعسكر المكون من عدة خيام يسمى حيا، أعضاء الحي الواحد يسمون قوما ، ومجموعة الأقوام القريبة النسب تكون قبيلة .يخضعون لرئيس واحد يكون أسن القوم ويتداعون إلى الحرب بصوت واحد، يضيفون كلمة بني إلى الاسم الذي يجمعهم، ويتكلمون لغة واحدة وينتمون إلى أصل مشترك ،ويشتركون في ملكية منطقة من الأرض » (الفوال، 1974، صفحة 207) . وهو نفس ما ذهب إليه **مورغان** (بونتي و إيزار، 2006، صفحة 718)عندما وصف القبيلة بأنها تنظيم سياسي لمجتمعات موجودة في حقبة معينة من تطور البشرية-

وإن كان يعتبر هذه الحقبة بربرية- لكنها مجتمعات حافظت على النظام الاجتماعي دون وجود سلطة مركزية

مجموعة بشرية تنحدر من أصل واحد أو تدعي الانتماء له مما يعطي لها شعورا قويا بالتضامن والوحدة المستمدة من العواطف الاولية في مواجهة ظروف الحياة والتهديدات الخارجية في بيئة يحسم التنافس والصراع فيها الاكثر قوة تماسكا وصلابة. هي أيضا تنظيم اجتماعي وسياسي وعسكري في البيئات التقليدية. تحتاج القبيلة باستمرار للحرب وللسلم في ديناميكية دورية لفرض الهيبة والتوازن الامني والتعبئة الدائمة لأفرادها. تحتاج القبيلة باستمرار لمبرر يدعم وجودها ووحدتها وهو ما تضمنه عصبية قوية تشد الأفراد لبعضهم البعض .لكن هذه العصبية كما تكون عامل قوة وتأسيس قد تتحول لمعول هدم وتفكيك عند حصول الترف والملك وهو المؤذن بخراب العمران. هنا قد تضطر القبيلة لتجديد لحمتها بالاستعانة بالدين الذي يحد من التنافسات ويجمع الصفوف ولا يتحقق ذلك الا بوجود رجل دين ملهم تذعن له الرقاب أو حاكم قوي(الوازع) يلعب دور المستبد العادل كما روجت لذلك أدبيات النهضة العربية المعاصرة.

2.2 الدولة:

الدولة في المعاجم العربية تختلف في تعريفها عن المعاجم الغربية في مدلولها السياسي والقانوني. فقد اقتصرت على معنيين: هما تدول المال وتداول الغلبة في الحرب (بكيري، صفحة 238) .حتى مصطلح الدولة يعني عدم الثبات والاستقرار بل التبدل والتغير والتعاقب الدوري لكائن حي يولد وينمو ويفنى عكس المصطلح الاوربي الذي يعني الحالة او الثبات **Etat - State.**

مؤسسة الدولة تضبط النوازع العصبية التي تهدد استمرار الاجتماع الانساني، فتحتويها وتضمها لسيطرتها. لذلك المجتمع البشري تحكمه ضرورتان:

ضرورة وجود العصبية اللازمة لقيامه، وضرورة وجود السلطة اللازمة لاستمراره. (مقصودة و برشان، صفحة 163)

الدولة هي وسيلة الانتقال من طور البداوة إلى طور الحضارة مستعينة في ذلك بالعوامل الاقتصادية والدينية لتوحيد القبائل والسيطرة عليها .هذا يتقاطع مع المفهوم الفيبري للدولة من كونها مؤسسة الهيمنة واحتكار الشرعية والعنف المنظم من خلال وكيل ينوب عنها يدعى الحكومة ينظم أعمال الدولة ويجسد إرادتها ويحقق أهدافها حسب (بلعدل و حمادي، صفحة 426)روسو

. الدولة القائمة على العصبية تعيش مرحلة عمرية مثلها مثل الانسان وتمر بمراحل قوة وضعف تنتهي بتلاشيها لصالح نخبة جديدة بعصبيتها تستولي على السلطة لأنها الاجدر والاقوى في دورة محتومة سماها ابن خلدون الدورة العصبية(طور الظفر بالبغية والاستيلاء على الملك-طور الاستبداد على قومه والانفراد دونهم بالملك- طور الفراغ والدعة لتحصيل ثمرات الملك- طور القنوع والمسالمة- طور الاسراف والتبذير وبه تزول العصبية) (بن عزة و معيفي، الصفحات 348-349) وسماها باريتو الايطالي دورة الصفوة . وبزوال العصبية تزول الدولة والحضارة لأنها تحمل في احشائها بذور نهايتها(الاستبداد وحصول الترف- الظلم مؤذن بخراب العمران-) (بن الموفق، 2014، الصفحات 556-558)

2.2 العصبية:

لغة: هي كمن المصطلحات الشائعة قبل ابن خلدون .الكلمة مشتقة من العَصَب، أي أطناب العصب التي تلائم بيتها وتشدها. كل شيء استدار بشيء فقد عصب به، والعصب الفتل. ويقول بن منظور في لسانه(عصبة الرجل أي بنوه وقرابته لأبيه، والتعصب أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبيته والتألب معهم على من يناوئهم ظالمين كانوا ام مظلومين ،و وتعني كذلك المحاماة والمدافعة والمطالبة

ويستشهد بالحديث النبوي الذي استدل به ابن خلدون فيما بعد، والذي رواه ابو داود في سننه عن جبير ابن مطعم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ليس منا من دعا إلى عصبية أو قاتل عصبية » وهو نفس المعنى الذي قال به ساطع الحصري (مقصودة و برشان، 2021، صفحة 159)(ما ينشأ بين أفراد القبيلة الواحدة من الشعور بقوة الصلة والالتحام)= الشعور العصبي الذي يشد افراد العصبة إلى بعضهم ويجعل منهم كائنا واحدا تفنى فيه ذوات الافراد مما يؤدي إلى التأييد الأعمى لجماعته بغض النظر عن عدالة قضيتها . هي ظاهرة طبيعية توجدها الألفة التي تنشأ بين أفراد القبيلة لفعل القرابة و الصحبة والعشرة وتقاطع المصالح(صلة الرحم طبيعي في البشر إلا في الأقل، ومن صلتها النعرة على ذوي القربى والأرحام ان ينالهم ضيم او تصيبهم هلكة) كما جاء في مقدمة ابن خلدون.

هذا يعني ان صلة الرحم أو النسب المشترك يصبحان إيديولوجيا يتبناها أفراد القبيلة لتدعيم لحمة الجماعة وتفعيل أليات الدفاع المشترك والتضامن بين جميع أفراد الوحدة الاجتماعية غنما أو غرما.

اصطلاحا: هي إطار تنتظم به العلاقات في المجتمع القبلي خاصة عندما تتعرض القبيلة لخطر خارجي ،فتقوم بنفس الدور الذي تقوم به الاسوار والحاميات الأمنية والعسكرية في المدينة. هي رابطة نفسية واجتماعية(الجابري) تربط مجموعة تقوم على القرابة المادية والمعنوية ويقع بها الالتحام والتضامن لتحقيق مصلحة او درء خطر. تظهر العصبية وتشتد اكثر في طور البداوة حيث ظروف المعيشة قاسية والصراع على موارد الحياة والاكتفاء بضروريات العيش والحياة(المعنى الاقتصادي للبداوة) ويكون النسب صريحا والقرابة الدموية هي أساس الانتماء وهو ما حرص عليه العرب خاصة أهل البادية لعدم اختلاط أنسابهم لأن معرفة أنسابهم تمكنهم من صلة أرحامهم. لكن العصبية بالنسب أمر

وهمي فالأنساب تسقط من شعب لشعب ويلتحم قوم بآخرين لذلك تظهر ثلاث علاقات من العمران البدوي تنمي الانتماء وهي: صلة الرحم-الحلف-الولاء. إذن القرابة الدموية والنسب الصريح غير كافيان في تعريف العصبية، وإدراكا لهذه الثغرة وسع الاستاذ ناصيف نصار (نصار، 1981، صفحة 245) العصبية، حيث تتكون من عوامل جغرافية ونفسية واقتصادية وتاريخية، فعلى الصعيد النفسي تشكل العصبية تعبيرا وتحقيقا لنزعة السيطرة في مجتمع لاتحل فيه الخلافات إلا بالقتال والغلبة ،و هي في نفس الوقت وعي جماعي تُدرَك به القبيلة بواسطة كيانها وعمقه في التاريخ الاجتماعي.

ارتبط مفهوم العصبية بالعصر الجاهلي في أذهان الكثير نظرا لقوة حضور القبيلة والقبلية وسيطرتها على العلاقات الاجتماعية داخل القبيلة الواحدة و كمحدد في العلاقات بين القبائل وكانت الانتماء الوحيد الذي يفخر به الفرد ويقاتل لأجله. بعد مجيء الاسلام كبح جماح العصبية خاصة في العصر النبوي وعصر الخلافة الراشدة واستغل جانبها الايجابي وحول الرابطة الاجتماعية من النسب القريب والدم الى قرابة روحية اعمق هي رابطة العقيدة والدين التي مزجت بين مختلف القبائل وصهرت مختلف الاصول والشعوب وجعلت الافضلية للسبق في الاسلام والتقوى حتى قال احد الصحابة تعبيرا عن هذا المعنى الذي محى الفروقات الارضية:

أبي الاسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

بعد انقضاء الخلافة الراشدة وقيام الدولة الاموية بفرعيها السفياني والمرواني أحييت العصبية القديمة من جديد لتواجه بنقيضها فيما بعد من الشعوبيين بعد ظهور الدولة العباسية.

اعتبر ساطع الحصري (قربان، 1404هـ/1984م، صفحة 165) العصبية هي محور الفكر الخلدوني وبأن أصلها في الطبيعة البشرية، إذ ان الانسان بطبيعته يتعاطف مع أقاربه ويذب عنهم الضيم والهلكة

في العلوم الاجتماعية يعبر عنها بروح التكاتف الذي يظهر بين أفراد القبيلة او الطائفة أو المهنة الواحدة حسب ليون غوتييه وديسلان لذلك ترجمها الأول ب **Esprit de Clan** وترجمها الثاني ب**Esprit de Corps** (بن عزة و معيفي، 2021، صفحة 342) . العصبية كمعطى سوسيولوجي ما هو الدور الذي تلعبه في تشكل الدول؟

يستعمل علم الاجتماع مفهوم الرابط الاجتماعي Le lien Social (كرابية، 2016، صفحة 1)كمفهوم معاصر بديل عن العصبية ذات المنشأ العربي الاسلامي. ويعني به مجموعة من العلاقات بين الافراد المنتمين إلى فئة اجتماعية، أو هو مجموعة القواعد الاجتماعية بين الافراد والجماعات التي تجعلهم متضامنين فيما بينهم.

1.2.2وظائف العصبية:

- تجسيد مبادئ القوة والمنعة فهي قوة جماعية ترنو إلى الحماية والتوسع للمنتمين لها وتلبية حاجاتهم الاقتصادية. العصبية القادمة من البداوة ليس فقط غلظة وقتال بل هي ايضا فضائل كالشجاعة والكرم والنجدة، «فهم اقرب للخير من اهل الحضر» المعنى الاخلاقي للبداوة حسب ابن خلدون (سعيدي، 2021، صفحة 124)

- تحقيق الولاء للقبيلة وحماية سلطتها والدفاع عن مصالحها. هذا الولاء يجعل العلاقة بين الفرد والجماعة علاقة انتفاع متبادل ،حيث يذوب الفرد في القبيلة ويعتبر أن مصلحته وحياته مرهونة بحماية الجماعة له، كما تعتبر القبيلة نفسها شريكا للفرد المنتمي لها في تقاسم الخيرات والمكاسب ،لأ نه لولاها ما كانت له قيمة

خصوصا في المجتمعات القائمة على الارث الاجتماعي حيث يقدر الفرد لا بإنجازاته بل بقرابته -ابن من و لمن ينتسب-

- التعبئة ،يمكن الشعور الجماعي للانتماء من مواجهة الخطوب والدفاع عن شرف القبيلة والمجموعة لأن الفرد والقبيلة شخص واحد تتداعى له جميع الاطراف بالنجدة. قرابة الدم والاشتراك في النسب القريب ليسا الصورة الوحيدة للعصبية ،فقد تضطر إلى قبول عضوية غرباء عنها سواء بالتحالف أو الولاء أو المصاهرة وهو كما نبه اليه ابن خلدون(العصبية غنما تكون من الالتحام والنسب أو فيما معناه) (إذ نعرة كل أحد على أهل ولائه وحلفه للألفة التي تلحق النفس بوجه من وجوه النسب). العصبية هي أداة للتجميع قوة للتلاحم

- اداة لوصول القبيلة أو المجموعة الاجتماعية للسلطة وفرض مشروعها السياسي والتمتع بنعيم الملك(الغاية التي تجري إليها العصبية هي الملك) (بن عزة و معيفي، صفحة 349). الوصول للسلطة فعل جماعة متماسكة متكتلة ولا يتحقق هذا الشرط إلا بوجود العصبية التي تجمع العصب والعصائب، فالملك(مورد مادي) غاية طبيعية للعصبية وضرورة لوجودها بالتعبير الخلدوني (مقصودة و برشان، صفحة 171)(فالرئاسة لا تكون إلا بالغلب والغلب إنما يكون بالعصبية) . لكن ينبغي التنبيه هنا ان العصبية كما هي عامل قوة وتأسيس للدولة والوصول للسلطة عبر مشاركة ومساهمة الجميع إلا أنها تتحول لعامل ضعف وتفكيك للدولة عندما تنفرد العصبية الاقوى والحاكم الاقوى بالمجد وثمرات الملك فتستغني الدولة في اخر الأمر عن خدمات الرابطة الدموية والعصبية القبلية ويصبح الامتثال أمرا عاديا وتنتهي النتيجة بنفي الدولة للقبيلة (زمام، 2017، صفحة 228) ،فيلجأ الحاكم للردع والقوة حفاظا على مركزه مما يثير المقاومة والاحتجاج ضد نظامه، وإذا لم يبحث عن روابط مرنة اخرى فلن يكتب لحكمه الدوام والاستقرار.

3.2الدعوة الدينية:

هي الالتفاف حول مهب او فكرة او دين من قبل أتباعه والتعصب له ولمثليه. الدين(مورد رمزي) من أقوى الروابط التي يقوم عليها البناء الاجتماعي لأ ي تجمع بشري، فهو يدعم تماسكه وتوازن الروحي والاخلاقي ،لأن الانسان جسم وروح ،قبضة من طين ونفخة من روح ودين . الدين كمعطى لا يمكن القفز عليه او تجاهل دوره الكبير في تأسيس الدول وبعث الحضارات لأن يمد بالطاقة الروحية الهائلة ويحرر الانسان من قيود الذل والاذعان لغير الله والحق كما يغرس في الفرد الشعور بالانتماء والولاء ،فتنتقل العصبية من التعصب للنسب الخاص إلى الدفاع عن العقيدة الدينية ويصبح الجهاد من اجل الدولة واجبا دينيا. كما يكفل مهابة الضمير الجماعي في النفوس(الدور التربوي والاخلاق للدعوة الدينية) . الدين يهذب الطباع العدوانية للعصبية القبلية ويقلم التنافس بين الافراد (فيحصل لهم التغلب والملك) و(قوة تحمل الناس بالقهر والسلطان على تقبله). اعطى **ابن خلدون** أهمية كبيرة للدين في تشكيل العصبية والدولة ونصرتها فخصص له عنوانا في الفصل الرابع من الباب الثالث عشر« في ان الدولة العامة الاستيلاء العظيمة الملك اصلها الدين، إما من نبوة أو دعوة حق، وذلك أن الملك إنما يحصل بالتغلب والتغلب إنما يكون بمعونة من الله في إقامة دينه» وهنا يتفق معه **ماكيافيلي** الايطالي في أن« الدين قوة اجتماعية تردع وتهذب النزوات البشرية بين الافراد وهو نافع لقيادة الجيوش ومساواة الشعب وتشجيع الأخيار وردع المفسدين كما وقع بروما» (كرابية، الصفحات 9 - 10)

الرابطة العصبية والدين إذا تمازجا يصنعان محرك للمدافعة والبذل والتضحية لأجل تحقيق غاية العصبية وهي الحصول على الملك الذي به تتحقق الملاذ النفسانية والشهوات البدنية والخيرات الدنيوية حسب الوصف الخلدوني.

3- نماذج تاريخية لدول قامت على أساس العصبية والدعوة الدينية:

الدولة هي امتداد زماني ومكاني لعصبية ما وهي وسيلة نقل المجتمع من البداوة والحضارة . سنقتصر على ذكر الدول التي قامت في بلاد المغرب العربي والاندلس في فترة معينة من العصر الوسيط لوجود القبائل والبيئة الصحراوية والبدوية وحيث زاوجت بين العصبية كأداة للمطالبة والمغالبة وبين الدين الذي وظفته لتحقيق الانتقال من رئاسة القبيلة إلى رئاسة الدولة. تفاعلت قبائل الصحراء ظاهرا وباطنا مع الاسلام وكان لها دور فاعل في الحياة السياسية والاجتماعية والحضارية في الدول القائمة في المغرب العربي، وهذه الخاصية انفرد بها المغرب الاسلامي عن بقية المناطق الاسلامية في تلك الحقبة بسبب تأثير العوامل الجغرافية.

1.3 دولة المرابطين(1056م-1147م)

تأسست هذه الدولة على يد الفقيه عبد الله ابن ياسين بمدينة مراكش التي أنشأتها قبيلة صنهاجة البربرية و أضحت عاصمة لهم. خرجت هذه القبيلة من فيافي الصحراء، حيث كان أهلها من كبار الرحل الذين يمشون مسافات طويلة. كان المرابطون متدينين بل ومتشددين في اتباع المذهب المالكي ونبذ ما سواه من المذاهب، وكان للعلماء فيها مكانة مرموقة داخل هرم الدولة خاصة بعد انقطاع السلطان للعبادة والتبتل منصرفا عن تسيير شؤون الدولة، فزاد نفوذ وثروة العلماء خاصة في عهد السلطان علي ابن يوسف ابن تاشفين الذي انتهى حكمه الذي دام من500هـ/1106م-537هـ/1143م وبه انتهى عهد قبيلة لمتونة وسقطت عاصمتهم في أيدي القوة الجديدة(الموحدون . كون المرابطون جيشا للرباط والدفاع عن بلاد الاندلس من زحف النصارى. أصبحت هذه الرباطات مراكز للتوسع ونشر الاسلام في بلاد السودان(افريقيا الغربية) وامتدت آثار

حضارتهم حتى لبلاد الاندلس (مقصودة و برشان، 2021، الصفحات 173-174).

2.3 دولة الموحدين(1121م-1269م):

ثار الموحدون بقيادة الفقيه المهدي ابن تومرت على المرابطين واتهموهم بالتشدد في المذهبية، وبنوا دعوتهم على الرجوع للإسلام الصافي القائم على الكتاب والسنة وفتح باب الاجتهاد ونبذ التقليد وجعلوا من قضية إحراق المرابطين لكتاب إحياء العلوم الدين للغزالي فرس رهانهم السياسي. احتضنت قبائل مصمودة - البربرية المقيمة بالصحراء- الدعوة الموحدية لأنها رأت نفسها أولى من بقية القبائل في تزعم المغرب العربي خاصة المرابطين الذين تعتبرهم أجانب عن البلاد، والاهم من ذلك أن عصبيتها التأمت بفضل الدعوة التومرتية، حيث التف انصارها حول دعوة ابن القبيلة المهدي ابن تومرت.

زواج العصبية من الدين استمر بعد موت المؤسس و استخلافه من قبل عبد المؤمن ابن علي الكومي الذي كان أجنبيا عن المصامدة وخوفا من ثورتهم عليه اخفى خبر وفاة سلفه لمدة طويلة ،ثم بعد مصاهرته لكبير المصامدة وهنتانة أبي حفص وانتصاراته العسكرية بدأ يحضر للانفراد بالسلطة عبر تقوية نفوذه داخل الجيش واستقدام قبيلته كومية لتلمسان ليتقوى بها على حساب المصامدة. تحولت الدولة في عصره لدلولة قبيلة وعصبية انطبقت عليها الدورة الخلدونية ،حيث تربصت بهم الدويلات القبلية(المرينيون و الزيانيون والحفصيون) وانتزعت السلطة انتزاعا من الموحدين بعد انفراط عقدهم (مقصودة و برشان، صفحة 179).

المرابطون والموحدون رغم قلة عددهم وضعف عدتهم -مقارنة ببقية القبائل إذا اجتمعت- استطاعوا بسط هيبتهم على قبائل البربر ببلاد المغرب

الاسلامي بفضل تأسيس حكمهم علة تقاسم السيادة والسلطة الدينية التي تدعي ممارستها كل من الدولة والقبائل المكونة لها.

3.3 دولة الرستميين: (160هـ-296هـ/776م-909م)

قامت على الدعوة الاباضية والمذهب الخارجي وهذا ضمن المذاهب والافكار الوافدة على المغرب العربي من المشرق. مقرها تيهرت بالجزائر. الامام عبد الرحمان ابن رستم هو الأب المؤسس لها .امتدت من تلمسان غربا حتى جبل نفوسة وطرابلس شرقا. ابن رستم فر من القيروان بعدما طارده الاغالبة العباسيون بقيادة محمد الأشعث الخزاعي وبويع له بالإمامة من قبل مجموعة من العلماء نظرا لعلمه ومكانته وهذا عن طريق الشورى . نظام الدولة كان الامامة ولقب الحاكم بالإمام لأنه كان يؤم الناس في الصلاة ويسير شؤون الدولة على مقتضى الشريعة الاسلامية. سقطت الدولة الرستمية على يد الدولة الفاطمية بزعامة أبو عبد الله الشيعي بعد ظهور الدعوة الشيعية والنزاع الداخلي على السلطة داخل العصبية الرستمية الحاكمة والصراعات الداخلية و مع الدولة العباسية أيضا.

4.3 دولة الفاطميين(300هـ-567هـ/912م-1171م):

قامت على أساس الدعوة الاسماعيلية الشيعية والدعوة للقتال باسم المهدي المنتظر خلال العباسي بقيادة عبيد الله المهدي بالله ويدهون النسبة إلى آل البيت ابتداء من محمد ابن اسماعيل ابن جعفر الصادق من ذرية فاطمة بنت الرسول وعلي ابن ابي طالب رابع الخلفاء الراشدين ،وإن انكر عليهم البعض هذا النسب. انتقل الفاطميون من المشرق العربي إلى المغرب العربي بعد مطاردة العباسيين لهم واستقروا وسط قبيلة كتامة البربرية أسسوا مدينة القيروان بتونس التي كانت العاصمة الاولى لهم ثم المهدية واخيرا القاهرة بمصر بعد ان فتحوها. من أسباب سقوط الدولة الفاطمية ضعف الخلفاء الفاطميين في

مقابل ازدياد نفوذ وثروة الوزراء الذين أصبح بعضه يعزل الخلفاء خاصة بعد وفاة المستنصر- ظهور الحروب الصليبية- التمزق الداخلي وظهور الاتراك على مسرح الاحداث وإقامتهم للدولة السلجوقية- اخيرا ظهور شخصية صلاح الدين الايوبي كقائد ملهم استغل الوهن الاخير للفاطميين وأجهز على دولتهم.

4. الدولة الحديثة:

الدولة أقوى النظم الاجتماعية وأعمها سواء من حيث السلطة أو التنظيم رغم أنها فكرة أي ليست مرئية لكنها مرهوبة ومطلوبة من الجميع. نحن نولد في الدولة ولا نختارها أصلا (بلعدل و حمادي، 2007، صفحة 423) . هي مجتمع سياسي منظم مستقر في إقليم تسيره الحكومة التي هي اداة الدولة وتعبير عن إرادة الأمة.

الدولة الحديثة قامت على أساس الفصل بين السلطة السياسية والدين وهي ظاهرة حديثة في التاريخ الانساني فرضت نفسها منذ الثورة الفرنسية عام1789م والاحداث التي تمخضت عنها فيما بعد والتي أنهت الانظمة الملكية في أوربا والتي قامت على أساس الحق الالاهي. قامت الدولة الحديثة على أساس مفهوم المواطنة وليس العصبية. الدولة الحديثة بيروقراطية منظمة ومجزأة المهام، موضوعية الاهداف، عقلانية التسيير.تقوم على المصلحة العامة التي يحققها المرفق العام. غير شخصانية فالموظفون والحكام مستأجرون لمناصبهم وأماكنهم لا مالكون لها كما ساد في الدولة الباترمونيالية التي قامت على الحكم الوراثي والتملك الشخصي للدولة ولمواردها. الحاكم يمثل الامة بكاملها حتى التي لم تنتخب عليه ولا يمثل عصبة أو زمرة أو عائلة او قبيلة. الوظائف والموارد والمشاريع تعطى حسب معايير موضوعية تتعلق بالكفاءة والجدارة والنزاهة وليس على أساس الزبونية والعلاقات الشخصية.

الدين استبعد كثيرا من دواليب الدولة ولم يعد محددا لاختيار الرئيس او شكل الحكم أو حتى مصدرا للتشريع واستبدل بمحددات اخرى وضعية شأنه شأن بقية الايديولوجيات. محددات يغلب عليها المصالح واستراتيجيات الفاعلين الرئيسيين في المشهد. استبدلت العصبيات القبلية بتكتلات حديثة(المجتمع المدني. الرأي العام. الأعلام) تكونت داخل المدينة مثقفة ومتعلمة تعليما عصريا غربيا يجمع بين أفرادها الترقية الاجتماعية والحياة السهلة والتقرب من مراكز النفوذ والهيمنة الاجتماعية ولا يجمعها النسب والقرابة لأن المدينة فضاء المجهولية بتعبير الاستاذ عدي الهواري.

هل يجوز لنا أن نقول أن القبيلة انتهت وأن العصبية تلاشت وأن الدين اختفى؟ وان التطورات التي عرفتها المجتمعات المغاربية بعد عصر ابن خلدون أثرت على البنى الاجتماعية لهذه المجتمعات؟ صحيح أن القبائل التي كان يحكمها العرف والتقاليد دخلت تحت سيطرة الدولة المركزية، و ان الاماكن التي كانت تعيش فيها القبائل أصبحت موطنا لكثير من المشروعات الحديثة وصحيح أيضا أن نمو التنظيم البيروقراطي وظهور العمل المأجور الذي حول البدوي إلى موظف واجير وصحيح أيضا انه تم توطين معظم القبائل ،وهذا جعل الكثيرين يقتنعون بأنه تم تدمير القبيلة وإلى الابد .لكن من الصعب الجزم بالقبيلة والقبلية والعصبية والعصبية قد انتهت. فالانتماءات التقليدية والشعور العصبي أمران طبيعيان في التركيبة البشرية يختزنان في لا شعور الافراد والمجتمعات لكن لا يختفيان لأنهما من الفطرة التي فطر الله الناس عليها. ولعل توظيف شبكة العلاقات القرابية في الانشطة السياسية والاقتصادية والاجتماعية يظهر حضور واستمرار الجماعات الاولية. كما أن النقلة الكمية في عملية التحديث لم تواكبها نقلة نوعية في العقل. تجلى ذلك في غياب مفاهيم العقلانية والديمقراطية والحداثة من عموم ذهنية مجتمعاتنا. اما العصبية الدينية فقد ساهمت في

تأسيس دول حديثة استطاع بعضها أن يفرض نفسه على الدول العلمانية كدولة اليهود في فلسطين وإيران الخميني وطالبان في أفغانستان وحتى تركيا التي تستند على غرث العصبية العثمانية التي انقضت وتريد تركيا الحديثة إحياءها.

رغم أن القبيلة تكاد تختفي من المشهد كبنية مورفولوجية وان الدولة هي الان المسيطر الوحيد على جميع البنيات، لكن نفي الدولة للقبيلة لا يعني انمحاءها نهائيا من النفوس والعقليات فهي تنبعث من حين لآخر كطائر العنقاء لكنها استطاعت رغم ذلك التعايش والتكيف مع المستجدات وقلصت من مطالبها فلم تعد تحمل مشروعا سياسيا للاستحواذ على السلطة بل كل ما يهمها الان هو الاستفادة من السلطة ومن ابنائها الموجودين فيها.

5. خاتمة:

العصبية عامل ضروري للانتقال من رئاسة القبيلة إلى رئاسة الدولة لكن تبقى وحدها غير كافية خاصة إذا تعلق الامر بتكوين دول كبرى تتجاوز حدود القبيلة، فلا بد من سند يحملها ويدعمها وهو الدين أو الدعوة الدينية حيث تعزز قوتها في غياب نسب صريح وقرابة دم تجمع الانصار. الدعوة أو الحركة الدينية الحاملة لمشروع سياسي في مواجهة السلطة القائمة تحتاج لعصبية تدافع عنها وتؤلب الناس حول اهدافها. لكن التاريخ كذب هذه النظرية في كثير من الاحيان سواء في انتصار دعوات دينية بغير عصبية او قيام دول على أسس اخرى كالدول المستقلة عن الاستعمار والدولة الغربية الحديثة القائمة على العلمانية والعقلانية والانتخابات والديمقراطية والتراضي بين الحكام والمحكومين والتداول السلمي على السلطة ويمكن ان نؤشر على ذلك بما حدث البارحة الاثنين27 سبتمبر2021 من فوز الحزب الديمقراطي الاجتماعي بألمانيا على الحزب المسيحي المحافظ بقيادة انجيلا مركل رئيسة الحكومة الالمانية التي خرجت من سدة الحكم بفضل الصندوق بعد ستة عشر عام من الحكم دون اراقة قطرة دم. إنه العقد

الاجتماعي الذي يجعل الشعب يقرر مصيره السياسي والاقتصادي والاجتماعي بحرية كاملة دو ن اعتبار للعوامل التاريخية والاثنية التي تناولنها في هذا المقال وهو الذي يجعلنا نستنتج بأن التركيز على العصبية والدعوة الدينية كشروط تأسيس للحضارة وللدول أمر مبالغ فيه، كما أن تحديد أعمار للدول بطريقة تعسفية يجعل مصير الدولة محتوم وهو الفناءوهذا لم يثبت لجميع الحالات فهناك دول عمرت اكثر من هذا العمر كالدولة العثمانية مثلا، وهو وإن صلح للتطبيق في مجالات أخرى فلا يصلح دائما بسبب التغيرات المحلية والعالمية المستمرة وخصوصيات الشعوب والذي يشفع لابن خلدون حتمياته هو معايشته وتأثره بالانحطاط الفكري والانقسام السياسي- سقوط الخلافة العباسية ببغداد على يد التتار ونهاية الحكم العربي بالأندلس والعداء الصليبي والثورات المتلاحقة وصراع الدويلات والقبائل نتيجة ضعف السلطة السياسية المركزية- الذي ميز زمانه كأنما نادي لسان الكون في العالم بالخمول والانقباض فبادر بالإجابة. وأخيرا فإن الدول التي قامت على أساس العصبية القبلية فإنها تحمل جرثومة موتها وهي مهددة بالانهيار السريع عكس الدول التي قامت على اسس قانونية موضوعية احترافية.

5. قائمة المراجع:

المراجع

الاستاذة خديجة طاهر منصور. (بلا تاريخ). تاريخ وحضارة المغرب الاسلامي. (http://elearn-univ-oran1.DZ). وهران.

السعيد بن عزة، و أبوبكر معيفي. (جانفي، 2021). العصبية في تفكير ابن خلدون السياسي. *مدارات للعلوم الاجتماعية والانسانية*(جامعة غليزان)، الصفحات 338-353.

الطيب بلعدل، و نورالدين حمادي. (1 مارس، 2007). نقد مفهوم العصبية عند ابن خلدون على ضوء نظريات الدولة الحديثة. *مجلة العلوم الاجتماعية*(جامعة عمارثليجي بالاغواط)، الصفحات 409-430.

أمحمد أمين بكيري. (نوفمبر، 2020). فلسفة نشاة الدولة عند ابن خلدون- من فلسفة القبيلة إلى فلسفة الدولة. *مجلة صوت القانون*(جامعة خميس مليانة)، الصفحات 227-257.

امينة كرابية. (15 سبتمبر، 2016). العصبية رابطة سوسيو سياسية(دراسة من خلال النصوص الخلدونية). *مجلة الحوارالثقافي*(جامعة عبدالحميد ابن باديس-مستغانم)، الصفحات 164-174.

بيار بونتي، و ميشال إيزار. (2006). *معجم الاثنولوجيا والأنثروبولوجيا* (المجلد الاولى). (د.مصباح العيد، المترجمون) الجزائر: المعهد العالي للترجمة- ابن عكنون.

د.صلاح مصطفى الفوال. (1974). *علم الاجتماع البدوي* (المجلد الاولى). القاهرة: دارالنهضة العربية.

د.ملحم قربان. (1404هـ/1984م). *خلونيات- قوانين خلدونية* - (المجلد الاولى). بيروت، لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

د.ناصيف نصار. (1981). *الفكرالواقعي عند ابن خلدون* (المجلد الاولى). بيروت، لبنان: دارالطليعة للطباعة والنشر.

شهناز سمية بن الموفق. (2014). البعد الديني والاجتماعي في بعث الحضارات وأفولها من خلال الرؤية الخلدونية. *مجلة المعيار*(جامعة الأميرعبدالقادر لعلوم الاسلامية-قسنطينة)، الصفحات 543-569.

عبدالفتاح سعيدي. (أفريل، 2021). قراءة علي الوردي لنظرية الاجتماع الخلدوني. (جامعة الوادي)، الصفحات 123-132.

محمد مقصودة، و محمد برشان. (جوان، 2021). أثرالدين والعصبية في قيام الدول بالصحراء(دولتي المرابطين والموحدين نموذجا:1056-1269). *مجلة الانسان والمجال*(المركز الجامعي-نور البشير-البيض)، الصفحات 156-185.

نورالدين زمام. (30 سبتمبر، 2017). عبد الرحمان ابن خلدون والدعوات الدينية. *مجلة دفاترالمخبر*(مخبرالمسألة التربية بالجزائر- جامعة محمد خيضر ببسكرة)، الصفحات 223 - 234.